البتوليّة والزّواج في دلالات الشّريعة المسيحيّة

أ.د. الشّيخ علي كاظم سميسم
جامعة الكوفة –كُليّة الفقه
Journalofstudies2019@gmail.com

Virginity and marriage in the meanings of Christian law

ALI KADHIM SMEASEM
University of Kufa - College of Jurisprudence

الملخص

من المعلوم أنَّ دراسة ما يُسمّى بالفنون الأدبيّة في النّصّ الدّيني المسيحيّ ليس بالأمر الهيّن. لِما امتاز به مِن لغة المجاز، والاستعارة، والكناية، وابتعد عن اللّغة التّقريريّة، ويعتقد الباحث إنَّ نشوء فكرة الابتعاد عن الشّريعة إلى الرّوح هو من خطأ التّفسّير للنصوص المقدّسة النّاشئ من تقطيع أواصر النّص الواحد، أو عدم النّظر إلى النّصوص الأُخر المُبيّنة لنصوص سبقتها؛ ممّا يؤدّي إلى تغيير المعنى للنصّ، أو ضياع المقصد التّام[١]، ومِن غير الصّحيح التّمسّك بمقطع واحد من النّصّ وترك ما يقابله من نصوص تُفسِّره وتكشف مغزاه، ومن الخطأ الكبير التّمسّك بحرفية النّص، أو التّمسّك بظاهر النّصّ بيد أنَّ الشّريعة المسيحيّة أعطت حياة للنصّ بعد الأخذ بباطنه، وروحه؛ ولهذا بيّن "بولس" العلاقة الرّابطة بين الإيمان، والشّريعة: العلاقة الرّوحيّة الّتي تُقوّي الشّريعة، والشّريعة الّتي تُقوّي الإيمان.

ومن الغريب أن يُفهم أنَّ هناك تناقضًا بينهما[٢]. أمّا إذا اجتمعت الرّوح مع الشّريعة فهي الحياة، والسّعادة الدّنيويّة، والآخرويّة، والتّفصيل في هذا الميدان طويل جدًّا؛ لذا أخذ البحث مصداقًا واحدًا وباختصار ألَا وهو (الزّواج)، وما يتعلق به من عزوبة وتبتّل.

الــزّواج: وهـو سـرٌّ أنشـأه الله فـي الفـردوس بحسـب الدّيانـة المسـيحيّة، وهـو مـن الأسـرار السّـبعة المُقدّسـة[٣] فـي الكنيسـة الكاثوليكيّـة والكنـائس الأرثوذكسـيّة[٤]، وأعدّتـه المحـاكم الشّـرعيّة المسـيحيّة كـذلك، وقـد أكّـد السّـيّد المسـيح علـى هـذه الأهمّيـة فـي مـوارد عديـدة مـن العهـد الجديـد؛ فقـد بـيّن صـنع الله تعـالى وإبداعـه فـي بـدأ النّشـأة الأوّلـى[٥]، وفـي هـذه المسـألة يـدخل البحـث فـي **التّطـوّر الـدّلالي فـي نصـوص الـزّواج:** إذ قامـت الأديـان السّـابقة عامّـة علـى تنظـيم هـذه العلاقـة، والدّيانـة المسـيحيّة خاصّـة؛ فكـان التّطـوّر، والتّـدرّج بالأحكّـام واضـحًا بـين الـدّيانات؛ إذ تطـوّرت الأحكّـام فـي الدّيانـة المسـيحيّة بعـد أن كانـت متشـدّدة فـي الدّيانـة اليهوديّـة، وذلـك بـيِّن فـي أثنـاء نصوصـها[٦]، بيـد أنَّ الدّيانـة المسـيحيّة رفعـت مـن مسـتوى المـرأة، ومـن مسـتوى علاقتهـا بالرّجـل، بعـد أن أسـبغت علـى هـذه العلاقـة الحُـبّ، والوئـام لحـدِّ اتحـاد المـرأة بالرّجـل[٧]، ولهـذا قـال إكليمنـدس الإسّـكندري: يسـتحيل التّفريـق بـين خلقـة الرّجـل، وخلقـة المـرأة علـى مسـتوى الطّبيعـة البشـريّة، لأنَّ نفـس المـرأة كـنفس الرّجـل مِـن حيـث الكفـاءة الرّوحيّـة، ولذلك يمكن للمرأة أن تحرز من الفضائل كما يحرز الرّجل تمامًا[٨]

. و يـرى الباحـثُ، واللّاهوتيـون المسـيحيون: أنَّ رسـالة السَّـيّد المسـيح قـدّمت تطـوّرًا فكريًّـا، وفقهيًّـا بحـقّ المـرأة مقارنـةً بالتّقاليـد والفقـه اليهـودي الّـذي تعامـل مـع المـرأة علـى أنّهـا مِـن الدّرجـة الثّانيـة فـي التّشـريع العـام[٩]، مـع أوصـاف الجمـال، والرّقـة الّتـي أسـبغها عليهـا بيـد أنّـه لا يضـفي علـى المـرأة كرامتهـا السّـامية، وهـو مـا تُظهـرُهُ الصّـلاةُ اليوميّـة الّتـي يتلوهـا اليهـوديّ حتّـى اليـوم[١٠]، فالمسـيحيّة الّتـي أعقبـت اليهوديّـة الّتـي ننظـر إليهـا علـى وفـق التّطـوّر الموضـوعي، رفعـت مـن كرامـة المـرأة، ومكانتهـا؛ لـذا اسـتهجن اليهـود تصـرّفات السّـيّد المسـيح فـي شـأن المـرأة، حـين تعامـل مـع المـرأة علـى وفـق التّطـوّر الـدّلالي الجديـد الّـذي مـن أمثلتـه:

"المرأة الخاطئة"[١١]، وهذا الاستهجان، وعدم الاعتراف مِن القديم بالجديد هو مِن الأمور الطّبيعيّة، ومن هذه الأمثلة في ميدان التّطوّر الدّلالي "قضية نازفة الدّم": الّتي عدّها الفقه اليهوديّ نجِسة، ولا يقترب منها أحد لنجاستها بيد أنّ السّيّد المسيح اقترب منها وشافاها[١٢]، وأجازت الدّيانة المسيحيّة للمرأة أن تتّنبأ، ولو بشروط[١٣]، ومن أمثلة التّطوّر الدّلالي في الدّيانة المسيحيّة في شأن المرأة إعطائها حقّ التّلمذة، والتّعلّم على يد السّيّد المسيح[١٤]، ولها الحقّ أن تّتعلم على يد الرّجل، وإعطاء المرأة الحقّ أن تعمل في المؤسّسة الدّينيّة، فكان لها الحقّ أن تكون في منصب الشّمّاسة[١٥] في الكنيسة، وهو ما يُظهره النّصّ الدّيني على لسان بولس[١٦]، عِلمًا أنَّ المناصب الدّينية الأعلى لا تُمنح للنساء لكن تحتفظ المرأة بمكانة مميّزة في مجال النّساء والأطفال داخل العمل الكنسي[١٧].

ومن هذه النّصوص وغيرها نتعرّف على عددٍ كبيرٍ من مظاهر إعطاء المرأة صور المساواة، والإكرام الّتي سجّلها لنا العهد الجديد[١٨] لكنَّ بعض الباحثين ظنّوا أنّ فقه الدّيانة المسيحيّة أنتج مساواة المرأة بالرّجل بيد أنَّ هذا القول يُجانب الدّقة البحثيّة –بحسب رأي الباحث القاصر –في هذه الدّيانة؛ إذ أسّست المسيحيّة بالتّنظيم الدّلالي العلاقة السّامية بين الرّجل، والمرأة الثّابتة على أُسّس المحبّة، والوئام بين الطّرفين[١٩] بيد أنّ هذه النّصوص الدّينية الّتي أشارت إلى مكانة المرأة السّامقة في هذه الدّيانة لا يمكن أن يُستدلّ بها على المساواة بين الرّجل والمرأة من كلِّ الوجوه، وهذا البحث، وغيره يؤكّد على بقاء المرأة –بحسب وضعها الفيزيولوجي وتكوينها الخلقي –العامل المُهم في تكوين أُسرة ناجحة؛ لتكون نواة تكوين مجتمع ناجح؛ لهذا أبقتها هذه الدّيانة خاضعة للرجل "ففكرة خضوع النّساء ليست متأصّلة في فكر كلِّ البشر فحسب –وهذا

ما لا يجب أن يكون في حدّ ذاته مبررًا، بل هي كامنة في تكوين الله للجنس البشري، وذكر الرّسول بولس هذا(٢٠).

ومن النّصوص المسيحيّة نتعرّف على دلالات فرعيّة عديدة لقضية الزّواج، نقتصر منها على **مقاصد النّصوص المسيحيّة في العزوبة، والتّبتّل:** بعد أن عرفنا مّما تقدّم –من بناء العلاقة الزّوجيّة على الحُبِّ بين الزّوجين، والتّنظيم التّشريعي –ظنّ بعضُهم(٢١) أنّ الدّيانة المسيحيّة تحُثُّ على حالة العزوبة، وتُفضلُها على الزّواج بناءً على بعض آياتٍ الأناجيل الإزائية(٢٢)، وعند إمعان النّظر في هذا النّصّ نجده يبدأ "بأل التّعليل" بقوله: "لأنّه"، وهو تعليلٌ لنصٍّ سابق يتحدّث عن الطّلاق، وكان قول التّلاميذ: "إن كانَ هكذا أمرُ الرَّجُلِ معَ المَرأةِ فلا يُوافِقُ أن يَتَزَوَّجَ!"(٢٣)، وهُم بذلك يُفضِّلون عدم الزّواج؛ فجاء الردّ من السّيّد المسيح على عكس هذا التّوجّه، وشيئًا فشيئًا تركّزت في الأذهان الميل إلى العزوبة؛ فردّ بولس تلك الفكرة الخاطئة(٢٤)، ومن ذلك نعلم أنَّ التّمسّك بالعزوبة تُسبب ظاهرة الزّنا؛ لذا دعا بولس إلى الزّواج، وحثَّ عليه؛ إذ أنَّ العزوبة الّتي تؤدّي إلى الضّغط النّفسي الشّديد لا يتسنى لكلِّ أحد الصّبر عليها، ومَن كان يتسنى له ذلك مِن حقّه أن يتمسّك بالعزوبة، وبهذا لا تكون العزوبة فرضًا واجبًا، وهو ما جاء في نصوص بولس(٢٥) بيد أنَّ بعضَهم(٢٦) صرَف تطبيقَ النّص على مجتمع معين، ورفضوا تعميمه، مع أنّ النّص واضحُ البيان مفتقرٌ للخصوصيّة، بل التّعميم هو الأجدى، مع أنَّ بولس كان يرى أن يُعطي بعضَ الأشخاص حياتهم كلّها للخدمة الكنسيّة(٢٧)، وهذا التّقديم للبتوليّة في هذا النّصّ، ونصوص بولس الأُخر(٢٨)، نجده يختصّ برجال الدّين لا أن يُعمم على المجتمع كافّة، بل تبيّن عند التّحقيق في الدّيانة المسيحيّة الشّأنُ العالي، والقيمة العاليّة للحياة الزّوجيّة، ومكانتها الرّاقية في بناء

المجتمع، وهو ما ذكره الأب متّى المسكين[٢٩]؛ فتكون البتوليّة ليس أمرًا واجبًا على كلِّ مسيحي، بل هو يعود للاختيار الحرّ، والاستطاعة على تحمّلها.

الهوامش:

١- انظر: رسالة بولس إلى أهل رومية ٧: ١-٧.

٢- الخوري بولس الفغالي. المجموعة الكتابية -المدخل إلى الكتاب المقدّس (من بُولس إلى يُوحنّا وسائر الرُّسُل)، ج ٥، ص ٢٧٥.

٣- الأسرار السّبعة: عمل مُقدّس تُمنح فيه للمؤمن، في أثناء علامة منظورة، نعمة الله غير المنظورة، فالأسرار أعمال خلاصيّة، أي أنها تمنح الخلاص، وهي أعمال الله في صورة تجل بشري.

انظر: المطران سليم بسترس. *اللّاهوت المسيحي والإنسان المعاصر*، ج ٣، ص ٢٧.

٤- انظر: لجنة من الكرادلة، والأساقفة. *التّعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية*، ص ٤٧٧.

أنظر: الأنبا غريغوريوس -أسقف عام الدّراسات العليا اللّاهوتية والثّقافة القبطية والبحث العلمي-. *اللّاهوت العقيدي (الجزء الرّابع) في أسرار الكنيسة السّبعة (٢)*، ج ٩، ص ١٠.

أنظر: الأب ريمون جرجس الفرنسيسكاني. *شرح قوانين المحاكمات الكنسيّة بوجه عامّ، وقوانين المحاكمات الحقوقيّة لدى الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة*، ص ٢١٠ – ص ٢١١.

٥- إنجيل متّى ١٩ :٤.

٦- يُنظر: سفرُ التّكوين ٢٤: ٢-٤، ٢٩: ٢٣، ٣٨: ٧ -٩، سفرُ التّثنية ٧: ١ -٣، ٧: ٤، ٢٥: ٥ -٦، ٢٥: ٧ -١٠، سفرُ عزرا ٩: ١ -٤، ٩: ١٠ -١٢، إنجيل متّى ١٩: ٤ -٥.

٧- إنجيل متّى ١٩: ٤ -٥.

انظر: إنجيل مرقس ١٠: ٧ -٩.

٨- انظر: الأب متّى المسكين. *المرأة حقوقها وواجباتها في الحياة الاجتماعية والدينية في الكنيسة الأولى*، ص ٨١.

٩- انظر: ماستر ميديا. *التّفسّير التّطبيقي للكتاب المقدّس (ومعه كتاب الحياة)*، ص ٢٢٤١.

١٠- د. فهد حجازي. *الوظيفة اليهودية من أرتحششتا إلى بلفور*. "مِناحوت"، أي: الصّدقات، أو القرابين، ص ٤٣-٤٤، ص ٧٣.

انظر: *تفسّير أنطونيوس فكري على سفر التّكوين*، [على شبكة الأنترنيت]، موقع كنيسة السيدة العذراء -بالفجالة: متوافر على: HTML / Frantony.htm /www.smcfag.org)، ص١٦ .

انظر: لجنة من الكرادلة، والأساقفة. *التّعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية*، ص٤٧٩.

١١- انظر: إنجيل لوقا٧: ٣٧ -٤٩.

١٢- انظر: إنجيل لوقا٧: ٣٤ -٤٨.

١٣- انظر: رسالة بولس الأوّلى إلى أهل كورنثوس١١: ٥.

١٤- انظر: إنجيل متّى١٤: ١٩ -٢١.

١٥- الشّمّاسة: امرأة تكلف رسميًا بخدمة محددّة في الكنيسة، وتكون واعظة، والشّمّاس كالشّمّاسة، إلّا أنّ المرأة لا تعظ إلّا عند النّساء.

انظر: اثناسيوس -راهب من الكنيسة القبطية -. *معجم المصطلحات الكنسيّة*. مادة: شماسة.

انظر: سعيد يعقوب. *مكانة المرأة في الخدمة الكنسيّة*. ص ٢٢.

١٦- انظر: رسالة بولس إلى أهل رومية١٦: ١ -٢.

انظر: رسالة بولس إلى أهل فيلبي٤: ٢ -٣.

١٧- انظر: رسالة بولس إلى أهل رومية١٦: ١ -٢، ٣ ،٥، ٦، ٧ ،١٢، ١٥.

١٨- انظر: القس صموئيل زكي. *مكانة المرأة في الكتاب المقدّس*. ص ٨٧، وما بعدها.

١٩- انظر: رسالة بولس إلى أهل أفسس٥: ٢٨.

٢٠- دونالد جوثري. *التّفسير الحديث للكتاب المقدّس: الرّسائل الرّعوية*، ص ٨٨.

٢١- انظر: د. خالد بن محمد الشّنيبر. *حقوق الإنسان في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام –مقارنة بالقانون الدّولي*، ص ٤٨١.

٢٢- انظر: إنجيل متّى١٩: ١٢.

٢٣- المصدر نفسه: ١٠.

٢٤- رسالة بولس الأوّلى إلى أهل كورنثوس٧: ١-٢.

٢٥- رسالة بولس الأوّلى إلى أهل كورنثوس٧: ٦ -٩.

انظر: رسالة بولس الأوّلى إلى أهل كورنثوس٧: ٣٦ -٣٨.

٢٦- انظر: د. وليم إدي. *الكنز الجليل في تفسير الإنجيل –شرح: بشارة متّى*، ج ٦، ص ٧٢.

انظر: الخوري بولس الفغالي. *المجموعة الكتابيّة –المدخل إلى الكتاب المقدّس (من بُولس إلى يُوحنّا وسائر الرُّسُل)*، ج ٥، ص ٢١٩.

٢٧- انظر: الدّكتور القسّ فهيم عزيز. *الفكر اللّاهوتي في كتابات بولس*، ص ٢٨٤.

وفي التّاريخ المسيحي القدّيم خلاف بين الكنيسة الغربيّة، والشّرقيّة في مسألة زواج بعض أصحاب الرّتب الكنسيّة (شمّاس، قِسّ، أسقف، ...)، حيث صدرت بعضُ القوانين، والقوانين المعارضة في وجوب مفارقة بعض أصحاب هذه الرّتب لزوجاتهم، وهو خلاف أُثير قديمًا في المجامع الكنسيّة. لكن يبقى الإطار العام في الكنائس منع الزّواج مرة أخرى مَن ماتت زوجته بعد أن رُسم في مرتبة كنسيّة.

انظر: جوزيف ألن. *الكهنوت والزّواج*، ص ٣٠، ٥٧، وما بعدها.

٢٨- انظر: رسالة بولس الأوّلى إلى أهل كورنثوس٧: ٣٨.

٢٩- الأب متّى المسكين. *القدّيس بولس الرّسول حياته لاهوته أعماله*، ص ٤٧٧.